تحرير المفاهيم الفكرية
(مفهوم الفكر الإسلامي أنموذجاً)

إعداد
د. عبد الرحمن بن ناصر الريس
الأستاذ المساعد في قسم أصول الدين بكلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة الملك فيصل بالأحساء

Refining Intellectual Concepts

- The Concept of Islamic Thought as a Model -

Dr. Abdulrahman bin Nasser Al - Rayes
Assistant Professor, Department of Fundamentals of Religion
College of Sharia and Islamic Studies
King Faisal University, Al - Ahsa

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 43
ISSN: 2225-9732

August 2026

الملخص

يعتمد تحصيل الفائدة المرجوة من الخطاب الفكري خاصةً على ضبط تناول المفاهيم الفكرية؛ فإنه يجب أن يكون تناول هذه المفاهيم على وفق المعاني الصحيحة التي وضعها أصحابها لتدل عليه وترمي إليه. وعدم استعمال هذه المفاهيم في غير معانيها وتحريفها عن مقاصد أصحابها منها، من أكثر أسباب نشأة الخلافات الفكرية؛ حيث يتسبب ذلك في خلل في التصور يصاحب الباحث في بحثه ودراسته، فتخرج نتائجه مجانبةً للصواب، وتكون هذه النتائج سببا في زيادة حدة الخلافات الفكرية.

فلا يستقيم البحث العلمي والدراسة للعلوم الشرعية خاصة إلا بتحرير المفاهيم الفكرية؛ بإيضاح أهمية حملها على معانيها الصحيحة، وصونها عن التحريف لمعانيها ومراميها التي قصدها أصحابها.

الكلمات المفتاحية: المفاهيم – الفكر الإسلامي - تحرير – الفكرية

abstract:

"The attainment of the desired benefit from intellectual discourse depends primarily on the precision with which intellectual concepts are addressed. These concepts must be engaged according to the correct meanings intended by their originators to signify their specific aims. Indeed, the misuse of these concepts—by applying them outside their intended contexts or distorting their authors' original objectives—is a primary cause of intellectual disputes. Such misuse leads to a conceptual defect that accompanies the researcher throughout their study, resulting in flawed conclusions that further exacerbate intellectual discord. Consequently, scientific research and the study of Sharia sciences, in particular, cannot be soundly established without the refinement of intellectual concepts (Conceptual Refinement); this is achieved by emphasizing the importance of upholding their correct meanings and safeguarding them from the distortion of the purposes and goals intended by their authors".

keywords: Concepts – Islamic Thought – Refinement – Intellectual.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، أما بعد:

تُعدُّ اللغة ومعانيها ومفاهيمها حجر الأساس في بناء التصور والوعي، فضلاً عن ميادين العلوم الشرعية والثقافية التي تتطلب مزيد دراسة ودراية، ثم إن المفاهيم المتعلقة بالجانب الفكري والثقافي تحمل في طياتها دلالات تتطلب المزيد من التحرير وتحديد الاستعمال؛ إذ المطَّلِع والدارس للأفكار والاتجاهات يدرك أن المفهوم في البيئة والفضاء الفكري المعاصر يحمل معه حمولة مفهومية مركبة، وقد تكون نشأة في سياق معرفي وتاريخي وفلسفي خاص أنتج هذا المفهوم، وحدد استعمالاته.

غير أنَّه من أشد ما يواجه الفضاء الفكري المعاصر في البيئة العلمية والشرعية هو انزلاق المفاهيم عن دلالاتها الأصلية، إما بتوسيعها، أو تضييقها، أو تحميلها معاني وافدة قد تشوّه المفهوم الفكري ودلالته، فضلًا إذا كان لتلك الاستعمالات الخاطئة لوازم في الأحكام تجاه أصحابها، أو بالأحكام الشرعية المتعلقة بها، وكما هو معلوم أن لكن علم وفن مصطلحاته واستعمالاته، وإن المفاهيم الفكرية التي تروج في الفضاء الفكري لا بد ألَّا يتم تداولها بدون إدراك لمعناها والمراد منها، ناهيك عن استعمالها والحكم عليها أو على أصحابها.

فالواجب على الباحثين والدارسين في العلوم الشرعية وخاصة المهتمين في المجال الفكري أن يصونوا مفاهيمهم من أن تُحرف معانيها، أو أن تستعمل لغير مراميها ومراد أصحابها، وفي المقابل ألا تكون هذه المفاهيم هي أداة لنقد النصوص الشرعية، وبوابة يدلف من خلالها الناقم على الأحكام الشرعية.

لأجل ذلك ولما كان من متطلبات منهجية لدراسة المفهوم وأهميته حرصت على تناول ودراسة بحث (تحرير المفاهيم الفكرية - مفهوم «الفكر الإسلامي» أنموذجًا) آملُ أن تكون نواة استحثاث في تربة معرفية خصبة تدرك أهمية المفاهيم، وتصونها من أن تستعمل لغير معانيها ومدلولاتها الصحيحة.

- أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

١. أهمية ضبط الخطاب الفكري والعلمي في تناول المفاهيم.

٢. أهمية تقليل الخلافات الفكرية المبنية على خلل في تصور المفهوم الفكري.

٣. شيوع استعمال المفاهيم الفكرية بشكل خاطئ وإساءة الحكم عليها.

- أهداف البحث:

١. بيان أهمية البحث في المفهوم والدلالة.

٢. بيان أهمية تحرير المفاهيم في الحكم عليها وفي بناء المعرفة.

٣. توضيح حجم النتيجة في ظل غياب التصور الكامل عن المفهوم الفكري.

- المنهج البحثي:

انتهجت في هذا البحث (المنهج التأصيلي والتحليلي) الذي يقوم على دراسة الموضوع على ما ورد بشأن ذلك من نصوص شرعية في الكتاب والسنة.

- خطة البحث:

يشمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة وفيها:

- أهمية الموضوع وسبب اختياره
- أهداف البحث
- المنهج البحثي
- خطة البحث

المبحث الأول: أهمية تحرير المفاهيم الفكرية

المبحث الثاني: المزلق المفاهيمي المعاصر في مصطلح (الفكر الإسلامي)

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

الفهارس

المبحث الأول: أهمية تحرير المفاهيم الفكرية

إن الباحث في القضايا الفكرية المعاصرة والخائض في عالم الأفكار لا تكاد تخطئ عينه، أن عالم الأفكار ومساحات التصورات، منشأ الغلط فيها هي تلك المفاهيم وجذور المفردات، والألفاظ ذات الدلالة المعرفية؛ وحيث إن الحال الفكري كذلك كان لزاماً بحثياً أن أوضح ما يلي:

١. أن البحث في تحديد الدلالات من الألفاظ والمفردات ضرورة بحثية لا يمكن للباحث - في القضايا العلمية فضلاً عن الفكرية - أن يقلل من أهميتها أو يتجاوز هذه الضرورة المعرفية؛ حيث بها يحصل مراد الباحث ويتحقق مقصده، وتكمن هذه الضرورة المعرفية بإخراج التصورات المغلوطة تجاه المفهوم؛ لتحديد مناط المفهوم وموضع القصد ومنطقة المراد من عدمه؛ وبذلك لوّح رواد الفكر المعاصر، يتجلى ذلك حين يقول الدكتور محمد عمارة[١]: «فإن تحرير مضامين المفاهيم، واكتشاف مناطق الاتفاق ومناطق التمايز في معاني ومفاهيم هذه المفاهيم - وخصوصاً تلك المفاهيم الأكثر شيوعاً، والأكثر إثارة للجدل بين تيارات الفكر في عصرنا وفي واقعنا - هو مهمة أساسية، وأولوية بالنسبة لأي حوار فكري حقيقي وجاد ينقذ حياتنا الفكرية من خطر الاستقطاب الحاد، ويوجد (لغة فكرية واحدة) بين الفرقاء المتحاورين..»[٢].

أشار الدكتور إلى بُعد آخر مُلح في البحث المفاهيمي؛ حيث اعتبره خطوة استباقية مهمة للحوار الفكري؛ لكي يحد من سيلان الخلاف الفكري الذي ينشأ من تجاوز هذه الخطوة البحثية؛ فيكون الخلاف الفكري في منطقة أبعد ما يكون عن اللفظ الدلالي.

ومن قبل ذلك أكد علماء الأمة أن كثيراً من النزاع الفكري والخلاف العلمي جذره وأصله الخلل في معرفة دلالة الألفاظ في العموم، ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «من أنفع الأمور معرفة دلالة الألفاظ مطلقاً، وخصوصاً ألفاظ الكتاب والسنة، وبه تزول شبهات كثيرة، كثر فيها نزاع الناس»[٣]بل أشار رحمه الله إلى أن أول اختلاف في الأمة هو اختلاف

(١)محمد عمارة مصطفى عمارة، مفكر إسلامي ومحقق، ولد بمصر سنة ١٣٥٠هـ، ألّف ١٢٦ كتاب تدور حول سمات الحضارة الإسلامية والمشروع النهضوي الإسلامي والمواجهة مع الحضارات الغازية توفي رحمه الله سنة ١٤٤١هـ.

(٢)معركة المفاهيم بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، طبعة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الثانية ٢٠٠٤م. ص١٢

(٣)مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد. طبعة: مجمع الملك فهد تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية. ١٤٢٥هـ. (٧ / ١٦٩).

مفاهيمي تجاه المفهوم وكيف أثر هذا الاختلاف الابتدائي على الواقع العلمي حيث يقول: «من جملتها (مسألة الإيمان والإسلام) فإن النزاع في مسماهما أول اختلاف وقع، افترقت الأمة لأجله وصاروا مختلفين في الكتاب والسنة، وكفر بعضهم بعضاً وقاتل بعضهم بعضاً..»(١).

٢. السمة الشرعية في تحري الألفاظ ومراعاة الدلالة في المفاهيم ودقة اختيار المفهوم الملاقي للفعل، بل والنهي عن استخدام الألفاظ ذات الدلالة الخاطئة أو المغايرة للمراد أو البعيدة عن الحكم والفعل؛ إذ أن المطالع لآيات الأحكام ونصوص التوجيه النبوي لا تكاد تخطئ عينه حظوة هذا الشأن في التنزيل الإلهي والهدي النبوي، منه النداء الرباني لعباده المؤمنين في قوله جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(٢).

يقول ابن كثير رحمه الله موضحاً سبب النهي، ومشيراً إلى أن سمة عدم استخدام اللفظ المناسب في موضعه هي من صفات اليهود ومن خصالهم: «وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقص، عليهم لعائن الله؛ فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولون راعنا، ويورون بالرعونة؛ كما قال تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾»(٣).

ولتجلية أكثر في مسألة أولوية الشريعة الإسلامية للمفهوم وأهمية دلالاته وأبعاده وكون ذلك حجر الأساس في طبيعة المفاهيم والمعتقدات وعموم الأفكار والفصل فيها يبين الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - في تفسيره هذه الأولوية في ذكر سياق الصراع الدلالي للمفاهيم بين اليهود والمسلمين فيقول: «كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين (راعنا) أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحاً، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسداً، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى

(١)المرجع السابق الصفحة نفسها.
(٢)سورة البقرة آية رقم ١٠٤ - ١٠٥.
(٣)تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، طبعة: دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى / ١٤٣١هـ. (١ / ٥٤٨)

الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة سداً لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب واستعمال الألفاظ، التي لا تحتمل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن»(١).

وإن المتتبع للنص النبوي يجد مراراً التأكيد على مسألة المفهوم وكأنه حذر من أن يُمس صرح المفهوم بدلالته الصحيحة؛ حيث اعتنى النبي ﷺ بسبك المفاهيم: إما بتصحيح القديم منها إلى دلالة شرعية أو تقرير الجديد فيها، وكثيراً ما كان ﷺ يُعقب الكلمة التي يُسمعها الصحابة بقوله: ((أتدرون ما قال هذا؟))(٢)وكذلك في قوله ﷺ: ((أتدرون ما الإيمان؟))(٣)وغيرها من النصوص التي تؤكد على أهمية دلالة المفهوم وما يصل إليه من معنى، بل تعدى الهدي النبوي ذلك إلى تعزيز مهارة الفطنة الاصطلاحية في عقول الصحابة، فربما أتى الرسول ﷺ الصحابة بكلمة لا يعلمون لها معنى أو لها معنى غير واضح، فيضطرهم إلى السؤال، وذلك لتحفيز مُكنة الانضباط الاصطلاحي والفكري في أذهانهم.

ويمكن للباحث أن يدرك أهمية ذلك أكثر في النصوص الشرعية التي أكدت على كل ما يتعلق باللسان وما ينطق به المرء في الجزاء والثواب والأحاديث في ذلك مستفيضة التواتر. (٤)

٣. أن البحث في جذر المفهوم واللفظ في السياق الفكري يزيد أبعاداً معرفية أخرى تتعلق بقائلها وعن الفكرة التي حملها هذا المفهوم أو الكلمة، ولو لم يكن من أنها تحمل كمّاً من الصعب أن يُستهان به من الأفكار لما أولى البحث العلمي لذلك أهمية في البحث فيه.

وحسب الباحث في أهمية اللفظ ومدى صلته بالأفكار والمعتقدات ما قاله أبو العباس شيخ الإسلام رحمه الله: «والكلمة أصل العقيدة. فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء، وأطيب

(١)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق مكتبة العبيكان – الرياض. الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ. ص٦١

(٢)أخرجه البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣). حديث: أن يهوديا مر على رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال: السَّامُ عليكم، فقال نبي الله صلَّى الله عليه وسلم: أتدرون ما قال هذا؟ قالوا: سلَّم يا رسول الله، قال: لا، ولكنه قال كذا وكذا، ثم قال: ردوه علي، فردوه عليه، فقال: قلت: السَّامُ عليكم، قال: نعم، فقال نبي الله صلَّى الله عليه وسلم عند ذلك: إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: وعليك؛ أي: وعليك ما قلت.

(٣)أخرجه البخاري (٨٧)، ومسلم (١٧).

(٤)راجع: ما رواه وكيع وأحمد وابن المبارك في الزهد، وما كتبه ابن أبي الدنيا في الصمت وغيرها.

الكلام والعقائد: كلمة التوحيد واعتقاد أن لا إله إلا الله. وأخبث الكلام والعقائد: كلمة الشرك، وهو اتخاذ إله مع الله. فإن ذلك باطل لا حقيقة له ولهذا قال سبحانه: {لَهَا مِن قَرَارٍ} ولهذا كان كلما بحث الباحث وعمل العامل على هذه الكلمات والعقائد الخبيثة لا يزداد إلا ضلالا وبعداً عن الحق وعلماً ببطلانها»(١).

وفي نص بديع له - رحمه الله - في استخراج البُعد الدلالي للمفهوم وأساس النطق به، بعد سياق بيان نزاع المتكلمين في الاصطلاح الشرعي يقول: «ومن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث، فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها»(٢).

٤. وقائع معارك المفاهيم ودلالاتها، فنظرة فاحصة سريعة على المكتبة الشرعية ونظرة أخرى إلى الواقع المعاصر وما يُسمى ب(حرب المفاهيم) كفيلة أن يعطي الباحث أولوية في المبادئ الدلالية للمفاهيم في السياق العلمي والفكري على وجه الخصوص، فالمتابع - مثلاً - للصراع الفكري الحاصل بين رواد الحداثة (٣)وبين الإسلاميين يدرك حجم قضية المفهوم وحضورها في أجواء وطبيعة هذا الصراع، كحضور مفاهيم (العقل – الحرية – التجديد – التفسير – الحق – الموروث – المنزل – التشريع – التاريخية - التأويل...الخ).

أجواءٌ دفعت العديد من أقطاب المعركة إلى تأليف المؤلفات مثل (معركة المفاهيم بين الغرب والإسلام) (٤) فضلاً عن المؤلفات التي تحدثت بعد ذلك أن أزمة في المفهوم في الواقع العربي (٥)، وعن حجم الرسائل العلمية في رصد ومعالجة هذه الأزمة وهذه الإشكالية في الاصطلاح، مما يبين لنا حجم تأثير المفاهيم في بنيان التصورات وكيف أن عقولاً هذه أسماؤها أقرّت أزمةً في المفهوم

(١)مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤ / ٧٤).

(٢)المرجع السابق (١٢ / ١٠٦ - ١٠٧)

(٣)ما أعنيه من صاغ الفكرة الحداثية المعاصرة في العالم العربي منهم (المفكر المغربي محمد الجابري – المفكر الجزائري محمد أركون – المفكر السوري علي أحمد سعيد الذي يسمي نفسه بأدونيس – المفكر المصري حسن حنفي – وكذلك نصر حامد أبو زيد..) وغيرهم كثير من مريديهم وتلامذتهم وممن تأثروا بهم بعد ذلك.

(٤)للدكتور: محمد عمارة وله (إزالة الشبهات عن معاني المفاهيم) وغيرها من الكتابات التي تحمل اسم (حرب المفاهيم).

(٥)منها: إشكالية المفهوم في الفكر العربي د. علي بن إبراهيم النملة - العولمة وأزمة المصطلح لعز الدين إسماعيل – إشكالية المصطلح الغربي في ثقافتنا المعاصرة لسمير حجازي – إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ليوسف وغليسي) وغيرها من المؤلفات التي أوضحت حقيقة الأزمة والإشكالية والمأزق.

فكيف بآحاد رواد المعرفة. معركة بكل ما تحمله الكلمة من معنى ودلالة حيث كان لها مسعرون وخائضون وضحايا نادى بها يومها الدكتور طه عبد الرحمن بقوله: «آن الأوان لكي نخوض معركة اصطلاحية نواجه فيها مصطلحات الفضاء الفلسفي المتهود بمصطلحات تدفع عنا شرور التهويد، فنفرق حيث لم يفرق أهل هذا الفضاء، ونجمع حيث لم يجمعوا، ونصرح بما أضمروا، ونسمعهم ما لم يسمعوا، ونستشكل ما لم يستشكلوا، ونفلسف ما لم يفلسفوا، أو قل باختصار ننشئ في الفكر ما لم يُنشئوا؛ فإن قوة الاصطلاح غدت لا تقل عن قوة السلاح»(١).

ثم يأتي بعد ذلك من يقلل من أهمية تناول المفاهيم قبل الخوض في غمارها وإحقاق الحق فيها من عدمه، فإذا أقر بها ونادى بها واستنهض إليها من هو أوعى ممن هوّن منها وأهملها؛ فكيف لا تكون ذات قضية يولي الباحثون لها أهمية وابتداء.

٥. التراث الإسلامي والجهد التاريخي لعلماء الإسلام تجاه المفهوم؛ حيث يعد اهتمام التراث العلمي للمفهوم خير شاهد على أهميته وأولويته في التصورات الشرعية والذهنيات الإسلامية ومن تلك المؤلفات: (مفاتيح العلوم) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي، و(الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة) لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري الشافعي، وغيرها من المفاهيم المرتبطة بالفنون والعلوم الشرعية في الفقه وعلم الكلام والفلسفة والنحو وغير ذلك من الفنون (٢).

وجانب آخر حين أولى علماء الإسلام المفهوم بقواعد علمية رصينة تتعلق ب (رعاية الشرع لسلامة المباني والمعاني) والإحكام الدلالي منهم في عدم إطلاق قاعدة (لا مشاحة في الاصطلاح) أو (لا مشاحة في الألفاظ بعد معرفة المعاني) من دون ضابط، بل قد وضع العلماء لاعتبار هذه القاعدة ومثيلاتها شروط وضوابط متعددة كل ذلك لصيانة مكانة المفهوم وصحة دلالته (٣).

(١)الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، د. طه عبد الرحمن. الناشر: المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب. الطبعة الثانية ٢٠٠٦م. ص٧٩

(٢)كالحدود الفقهية لابن عرفة، وأنيس الفقهاء للقونوي، والشامل في أصول الدين للجويني، ونهاية العقول في دراية الأصول لابن الخطيب الشافعي، والحدود والرسوم للكندي، والحدود الفلسفية للخوارزمي وغيرها للاستزادة: العالمانية طاعون العصر للدكتور: سامي عامري ص٣٥.

(٣)للاستزادة: بحث بعنوان: قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح (دراسة أصولية تطبيقية) للدكتور: محمد الجيزاني. مجلة الأصول والنوازل العدد الثاني – رجب ١٤٣٠هـ ص٩٧.

يقول الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - في سياق ذلك: «بل أفردوا كتباً في: الصمت وآداب اللسان، لابن الدنيا، وابن أبي عاصم، والسيوطي، وغيرهم، وأما في واحدة من آداب اللسان ترغيباً أو ترهيباً فكثير... ولبعض أئمة أهل العلم فضل الإفادة الظاهرة بجملة كبيرة منها على وجه التحقيق، والتدقيق، ومن أكثر من رأيته ضرب بسهم وافر في ذلك: الأئمة الحفاظ: النووي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وابن الحجر - رحمهم الله تعالى - فلم أرَ مثلهم في ذلك على مسرح العَالَم» [١].

وفي سياق آخر - رحمه الله - كان يتحدث عن غلاة الصوفية وما أحدثوه من مفاهيم حتى قال: «ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم الجوزية، وغيرهما من محققي علماء الإسلام، لما لهم من صولات، وجولات، وغارات، وصوائف، تكشف عن مرامي كلامهم، ومواطن الإثم من ألفاظهم، وتلبيساتهم»[٢].

المزلق المفاهيمي المعاصر لكلمة (الفكر الإسلامي):

يمكن فيما يلي أن أبين أهم الملامح المفاهيمية في استعمالات المعاصرين للفكر والأفكار لكي يتضح أكثر منشأ المزلق المفاهيمي المعاصر لكلمة (الفكر الإسلامي):

- يعبر في الواقع المعاصر عن الأفكار والفكر ب(نتائج عمل العقل البشري الفردي أو المجتمعي)، وهذا المعنى مما درج استعماله بخلاف ما سبق من العصور، فلا تكاد تقرأ كتاباً حتى تجد عبارات وجمل أمثال: «قبل الخوض في هذه المسائل يمكننا أن نشير إلى النتائج التي تستقر عندها أفكار الباحثين في هذا الموضوع»[٣]وشواهد ذلك كثيرة جداً.

وفي سياقات مختلفة كسياق النقد الفكري فيعبر مثلاً «أن من جملة الأسباب التي أوقعت الإسلام في الكسل والخمول هو سموم بعض أفكار المتصوفة الذين ظنوا أن الدين بالتقشف واعتزال الناس»[٤]، وكذلك حين يعبر كثيراً عن (الأفكار الهدامة) [٥]أو (الأفكار الدخيلة) وغيرها

(١)معجم المناهي اللفظية. للدكتور: بكر بن عبد الله أبوزيد. دار العاصمة – الرياض. الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ. ص٨

(٢)المرجع السابق ص١٢ - ١٣

(٣)طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي. تحقيق وتقديم: د. محمد عمارة. الناشر: دار الشروق – القاهرة. الطبعة الثانية: ٢٠٠٩م. ص٢٢

(٤)مجلة المنار. (مجموعة من المؤلفين) العدد: ١٤. عنوان المقال: الانتقاد على المنار. الكاتب: محمد رشيد رضا.

(٥)انظر: شرح ثلاثة الأصول. تأليف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ). تحقيق: علي بن صالح المري

من العبارات التي تحمل المعنى التراثي في النتاج العقلي، غير أن المعاصرين انفردوا في الإكثار والاستغراق الدلالي لهذا المفهوم في الكتب وفي مظان التعبير عن الآراء والأطروحات.

والحقيقة أن الاستغراق الدلالي للأفكار والفكر بمعناه: (نتاج عمل العقل البشري) كان له حيثياته الثقافية في كثرة رواجه من سياقات الإجابة على سؤال النهضة، ونطاقات مجابهة المستعمر الأجنبي، والمدافعة المفاهيمية في أجواء الغزو الثقافي، وغيرها من الأسباب التي جعلت من هذا التعبير الدلالي حضوراً واسعة في الفضاء العلمي والفكري المعاصر.

ومن أبرز ملامح ذلك وضع عموم الاتجاهات والمدارس العلمية والعقدية والعقلية والاجتماعية وكذلك الاقتصادية مرادفاً لكلمة (الفكر) كالتعبير عن (الفكر الإسلامي) و(الفكر الفارسي والفكر البربري) [١]، و(الفكر الإنساني) بل حتى ارتدف الأشخاص بالفكر، ك (الفكر الباديسي) [٢]، و(الفكر الكانتي) [٣]، غير أن هذه الأجواء الاستغراقية بشراسة كثرتها وتناميها واستمرارها لم تدع الدلالة والمعنى المراد منها في مكان المعهود الذهني، فقد جاءت الجرأة الحداثية لتعبر عن مناطات الحكم الإسلامي - على سبيل المثال - بـ«الفكر الديني» [٤]؛ لتقدم أرضاً خصبةً غير وعرة ولا تثير حفيظة القارئ ولا ضمير الكاتب في نقد النصوص الشرعية من القرآن والسنة، مما دفع ببعض المعاصرين أن شنعوا على ذاتية التعبير بـ(الفكر الإسلامي)!.

– أحمد بن عبد العزيز بن باز. الناشر: دار المسير. الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م. ص٧.

(١)انظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تأليف: محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (ت: ١٣٨٥هـ). جمع وتقديم: د. أحمد طالب الإبراهيمي. الناشر: دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى: ١٩٩٧م. ١ / ٣٧٨.

(٢)انظر: آثار ابن باديس، تأليف: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي. (ت: ١٣٥٩هـ). تحقيق: عمار طالبي. الناشر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية. الطبعة الأولى: ١٩٦٨م. ١ / ١٠٢

(٣)انظر: دستور الأخلاق في القرآن، تأليف: محمد بن عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ). الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. ص١١٤.

(٤)انظر: نقد الفكر الديني. المؤلف: د. صادق جلال العظم. الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت. الطبعة: الثانية. ١٩٧٠م.

وفي سياق سيلان الاستعمال المعاصر للفكر، وفي ظل تنامي خطابات نقد الفكر الإسلامي، في مقابل الطرح العلمي الشرعي لتقوية الأصالة في الفكر الإسلامي، كانت مواقف المعاصرين تجاه مفهوم (الفكر الإسلامي) على عدة أوجه:

الموقف الأول: التحذير من التلفظ والتعبير بها لذاتها، حيث إن التلفظ ب (الفكر الإسلامي) يقصد به الإسلام والدين الإسلامي، وأن الأديان لا يمكن أن تكون يوماً مجرد أفكار، كما أنها ذريعة لإبطال الأحكام الشرعية وتسهيل نقدها لدى المعبر والمتلفظ بها.

وقد انبرى من المعاصرين لهذا الموقف الشيخ الفقيه ابن عثيمين - رحمه الله -، حيث يقول - رحمه الله - بكل وضوح في أصل التعبير عن الدين بالفكر أن: «الأديان ليست أفكاراً، ولكنها وحي من الله - عز وجل - ينزله على رسله، ليسير عبادة عليه، وهذه الكلمة - أعني كلمة - فكر، التي يقصد بها الدين. يجب أن تُحذف من قواميس الكتب الإسلامية، لأنها تودي إلى هذا المعنى الفاسد، وهو أن يقال عن الإسلام: فكر، والنصرانية فكر، واليهودية فكر - وأعني بالنصرانية التي يسميها أهلها بالمسيحية - فيؤدي إلى أن تكون هذه الشرائع مجرد أفكار أرضية يعتنقها من شاء من الناس، والواقع أن الأديان السماوية أديان من عند الله - عز وجل - يعتقدها الإنسان على أنها وحي من الله تعبد بها عباده، ولا يجوز أن يطلق عليها (فكر)» (١).

بين الشيخ - رحمه الله - أن المراد من التعبير والتلفظ بالفكر أنه الدين قولاً واحداً ورأياً عامةً على جميع الأديان، أما في ذات التعبير والتلفظ بكلمة (الفكر الإسلامي) دون غيرها قال - رحمه الله - مجيباً أن: «كلمة (الفكر الإسلامي) من الألفاظ التي يحذر عنها، إذ مقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد، وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشعر، أما (مفكر إسلامي) فلا أعلم فيه بأساً لأنه وصف للرجل المسلم والرجل المسلم يكون مفكراً» (٢).

رغم أن كلمة (الفكر الإسلامي) حينها كانت تروج في الفضاء الشرعي، وفي أوعية وأذهان أشياخ طلبة العلم الشرعي فضلاً عن طلابهم فضلاً عن غيرهم من المهتمين في العلوم الإنسانية الأخرى فضلاً عن الفضاءات المناوئة للخطابات الشرعية.

(١)المناهي اللفظية، تأليف: الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين. (ت: ١٤٢١هـ). جمع وإعداد: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى. ١٤١٥هـ. ص٥٤.

(٢)المرجع السابق ص٨٧.

ما دفع ذلك إلى أن سأل أحدهم الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بكل وضوح حيث يقوله في سؤاله أن: «الأشخاص الذين يستخدمون مفهوم (الفكر الإسلامي) يقولون أننا نقصد فكر الأشخاص ولا نتكلم عن الإسلام ككل أو عن الشريعة الإسلامية بالتحديد، فهل هذا المفهوم (الفكر الإسلامي) جائز بهذا التفسير أم لا وما هو الدليل؟» (١).

أجاب - رحمه الله – قائلاً: «ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((إنما أقضي نحو ما أسمع)) ونحن لا نحكم على الأفراد إلا بما يظهر منهم، فإذا قيل (الفكر الإسلامي) فهذا يعني أن الإسلام فكر، وإذا كان القائل بهذا التعبير يريد الرجل الإسلامي فليقل (فكر الرجل الإسلامي) أو (المفكر الإسلامي) وبدلاً من أن نقول (الفكر الإسلامي) نقول (الحكم الإسلامي) لأن الإسلام حكم والقرآن الكريم إما خبر وإما حكم كما قال تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾» (٢).

انطلق الشيخ - رحمه الله - من الأصل الذي بناه والتصور الأول الذي رسمه وهو أحادية المعنى والمراد من الفكر في إحلاله محل الدين في التعبير واللفظ بعيداً عن أي سياق أو معطى، واطرد بهذا الأصل في جوابه وفي كتبه وفتاويه وشروحه - رحمه الله - وقد كانت هذه الصورة الذهنية لهذه الكلمة حاضرة ومستحضرة.

ففي إجابة له - رحمه الله - لسائل سأله قائلاً: «ما رأي الشرع في...؟» رد - رحمه الله - قائلاً: «أولاً: لا أحب أن يوجه السؤال لشخص باسم ما رأي الإسلام؟ أو ما رأي الشرع؟ لسببين: السبب الأول: أن الشرع لا يصح أن نقول إنه رأي، بل الشرع شريعة ومنهاج من لدن حكيم عليم، شريعةٌ ومنهاج مبني على عقيدة وإيمان بالله سبحانه وتعالى، وليس فكراً أو رأياً، ولهذا أرى أنه من الخطأ أن نعبر فنقول: (الفكر الإسلامي) مثلاً، ولكن نقول: المفكر الإسلامي، لا بأس فنجعل ذلك وصفاً للرجل المسلم، أما أن نجعل الفكر نفسه هو الإسلامي فهذا خطأ...»(٣).

(١)المرجع السابق ص٨٨. سؤال رقم (٧٢).

(٢)المرجع السابق ص٨٨.

(٣)مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. تأليف: محمد بن صالح العثيمين. (ت: ١٤٢١هـ). جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. الناشر: دار الوطن للنشر والتوزيع – الرياض. الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ. (٢٥ / ٣٥٧).

فالشيخ - رحمه الله - يؤكد بين الفينة والأخرى صورة ألا يمكن أن يعبر عن الأديان بالفكر أياً كانت المسوغات مع وجود بدائل اقترحها الشيخ - رحمه الله - رغم انتشار استعمالها في الدوائر الشرعية المعتبرة من قبل الشيخ - رحمه الله - .

فقد عبر بها الشيخ ابن باز - رحمه الله - مراراً ومجرده من التنبيهات التي تقتضي لفظها [١]، وكذلك الشيخ بكر أبوزيد - رحمه الله - أطلق كلمة (الفكر الإسلامي) في مواضع متفرقة من كتبه ومؤلفاته [٢].

الشيخ بكر أبوزيد الذي قال عنه ابن عثيمين - رحمه الله - في شرحه لكتاب الأول (حلية طالب العلم): «إن كلامه في غالب كتبه كلام يدل على تضلعه في اللغة العربية، والذي يظهر أنه لا يتكلف ذلك؛ لأن الكلام سلس ومستقيم، وهذا يدل على أن الله - تعالى - أعطاه غريزة في اللغة العربية لم ينلها كثير من العماء في وقتنا، حتى إنك لتكاد تقول: هذه الفصول كمقامات الحريري...»[٣].

الموقف الثاني: السماح بإطلاقها والتعبير بها، حيث يكون المراد منها وغاية التلفظ بها هو: ما أنتجه علماء الإسلام من استنباطات ومسائل وإجابات في مختلف المجالات المتعددة، مع بيان واستحضار المحاولات والاستعمالات الحداثية للكلمة والوقوع في علة أصحاب التحذير من إطلاقها.

وقد قدم الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - تفصيلاً في هذا الموقف حيث يقول - رحمه الله - في حديثه عن الألفاظ المستحدثة: «ومنها: (الفكر الإسلامي) و(الفكرة الإسلامية) بمعنى الإسلام؟؟!، وكيف يصح أن يكون الإسلام ومصدره الوحي (فكراً) و(الفكر) هو ما يفرزه العقل، فلا يجوز بحال أن يكون الإسلام مظهراً للفكر الإنساني؟ والإسلام بوحي معصوماً، وإذا كان بعض الكاتبين أدرك الخطأ في هذا الاصطلاح فأبدله باصطلاح آخر هو: (التصور الإسلامي)، فإنه من باب رفع آفة بأخرى؛ لأن التصور مصدره الفكر المحتمل للصدق والكذب. وهذه

(١)انظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (رحمه الله). تأليف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ). أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر. (٥ / ١٠١ - ٢٤ / ٨ – ٢٧ / ٢٧٨).

(٢)في الموقف الثاني سأذكر ذلك بالتفصيل.

(٣)شرح حلية طالب العلم. تأليف: د. بكر عبد الله أبوزيد. شرح: الشيخ محمد بن صالح العثيمين. الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - القصيم. الطبعة الأولى – ١٤٣٤هـ. ص٨

المفاهيم المولَّدة، جميعها تعني الكلمة الأجنبية (الأيدلوجية) بمعنى الأصول الإسلامية»[١].

فاستحضار هذا السياق والمنطلق حاضر لدى أصحاب هذا الموقف الذي يعطي الأولوية الاستعمالية لغير كلمة (الفكر الإسلامي) لتعبر عن ذات المعنى في الوقت الذي يسمح باستعمالها والتلفظ بها، ولذلك قال - رحمه الله - في موطن آخر: «نعم، يطلقون (الفكر الإسلامي) في عصرنا، مريدين قدرته على الاستنباط، ونشر محاسن الإسلام، فمن هنا يأتي التَّسمُّح بإطلاقها، والأولى اجتنابها» [٢].

لذلك من يقرأ في سياقات الاستعمالات الشرعية أو الإسلامية لكلمة (الفكر الإسلامي) يجد أنها لا تخرج عن معنى المجهودات العقلية والاجتهادات العلمية الملتزمة بالمنهج الإسلامي أو ما اجتمعت على تصوره العصور الإسلامية المتراكمة، وما استقر عليه الطابع الذهني لعامة الأمة الإسلامية، فأغلب الاستعمالات المعاصرة في الدائرة الإسلامية تحمل هذه المعاني ومن الصعب أن نحملها ما لا تحتمل في قصد كاتبها أنه أراد الإسلام ذاته وأصوله وأراد القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة. [٣]

«فالفكر الإسلامي إذاً، هو جهد بشري وفكر بشري من جهة، ولكنه يمتاز بكونه إسلامي الاستمداد والإطار، من جهة أخرى. فهو أيضاً يؤخذ به ويعتمد عليه، على قدر تطابقه وتوافقه مع أدلة الشرع، ويرد منه بقدر ما يكون على خلاف ذلك» [٤]

الموقف الثالث: استعمال كلمة (الفكر الإسلامي) في سياق نقد الأحكام الشرعية؛ حيث جعل أصحاب هذا الموقف من هذه الكلمة جسراً لألسنتهم في الوصول إلى حياض الشريعة الإسلامية وأدلته وأصوله وأحكامه الكلية والتفصيلية، فحين يعبر الكاتب أو الناقد عن ادعائه

(١)معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ. تأليف: بكر بن عبد الله أبو زيد. (ت: ١٤٢٩هـ). الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض. الطبعة: الثالثة. ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م. ص٣٦٠.

(٢)المرجع السابق ص٤١٨.

(٣)انظر: الفكر الإسلامي في تطوره، تأليف: د. محمد البهي. الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة / دار التضامن للطباعة – القاهرة. الطبعة: الثانية ١٤٠١هـ – ١٩٨١م. ص٦ – ٧. وخصائص الفكر الإسلامي. تأليف: د. محمد عبد اللطيف الفرفور. الناشر: دار الإمام الأوزاعي. ص١٢ وما بعدها. ومن منابع الفكر الإسلامي. تأليف: أنور الجندي. الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – الجمهورية العربية المتحدة. الطبعة ١٣٨٦هـ – ١٩٦٧م. ص٣ وما بعدها.

(٤)الفكر الإسلامي وقضايانا السياسية. تأليف: أ.د. أحمد الريسوني. الناشر: دار الكلمة للتوزيع والنشر – القاهرة. الطبعة الأولى. ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م. ص٩.

بوقوع الأخطاء في النص الشرعي بتحديد هذه اللفظة أو صريح القرآن الكريم والسنة النبوية يرتكب في تصور القارئ جرماً بالغاً، أما في حين أن يبتدئ هذا النقد بوقوع الأخطاء في (الفكر الإسلامي) بهذه اللفظة أو مرادفاتها فإنه يضع الشماعة للخوض في هذا العبث وقد يبتلع القارئ هذا التسويغ المزعم.

نظير هذا الاستعمال ما نهجه الدكتور محمد أركون [١]في جملة من مؤلفاته، كأن يعنون لكتاب له بعنوان (تاريخية الفكر العربي الإسلامي) ثم ما يلبث القارئ إلا أن يكتشف أن الكتاب ما هو سوى محاولة بحثية عبثية لتقرير تاريخية النص القرآني.

حيث يقول في ثناياه بطريقة سينمائية في المعالجة: «لنذكر الآن المهام العاجلة التي تتطلبها أية مراجعة نقدية للنص القرآني، ينبغي أولاً إعادة كتابة قصة تشكل هذا النص بشكل جديد كلياً، أي نقد القصة الرسمية للتشكيل التي رسخها التراث المنقول نقداً جذرياً، هذا يتطلب منا الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية التي أتيح لها أن تصلنا...، المهم عندئذ هو التأكد من صحة الوثائق المستخدمة. بعدها نواجه ليس فقط مسألة إعادة قراءة هذه الوثائق، وإنما أيضاً محاولة البحث عن وثائق أخرى ممكنة الوجود كوثائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخراً، يفيدنا ذلك أيضاً سبر المكتبات الخاصة عند دروز سوريا أو إسماعيلية الهند أو زيدية اليمن أو علوية المغرب، يوجد هناك في تلك المكتبات القصية، وثائق نائمة، متمنعة، مقفلٌ عليها بالرتاج، الشيء الوحيد الذي يعزينا في عدم إمكانية الوصول إليها الآن هو معرفتنا بأنها محروسة جيداً» [٢]!!

(١)محمد أركون (١٩٢٨م - ٢٠١٠م) باحث ومؤرخ ومفكر جزائري، تعلم الثانوي في الجزائر، ثم تعليمه العالي بباريس، عمل أستاذاً مساعداً بجامعة السوربون ثم في جامعة ليون، جل مؤلفاته باللغة الفرنسية، صاحب مشروع (إعادة القراءة للقرآن)، ويعتبر من أحد أعمدة الحداثة المعاصرة، اشتهر عنه القراءة النقدية التاريخية للنصوص الشرعية، من مؤلفاته المترجمة إلى العربية (الإسلام أوربا الغرب – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – الفكر الإسلامي نقد واجتهاد – العلمنة والدين – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي) وغيرها من المؤلفات. انظر: تعريف دار الساقي في كتاب (نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية). كذلك (وقفات مع محمد أركون من خلال إنتاجه وفكره للدكتور: محمد بريش – منشور بالشبكة).

(٢)تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تأليف: محمد أركون. ترجمة: هاشم صالح. الناشر: المركز الثقافي العربي – مركز الانماء القومي. - بيروت. الطبعة الثانية: ١٩٩٦م. ص٢٩٠ وما بعدها

يكمل أركون هذا العزاء والأسف في المشكلة العملية دون المشكلة العلمية التي وقع فيها ليقول مقرراً: «هكذا نجد أنفسنا أمام عمل ضخم من البحث وتحقيق النصوص الذي يتبعه فيما بعد - وكما حدث للأناجيل والتوراة - إعادة قراءة سيميائية ألسنية للنص القرآني...، إن قراءة كهذه للقرآن تتبدى اليوم عملاً شديد الأهمية، ولكن للأسف فإنه ينقصنا العدد الكافي من العمال الباحثين» (١)!!

وحين يتصفح القارئ استعمالاً لأركون آخر، يوم أن عنون لكتابه بعنوان (الفكر الإسلامي قراءة عملية) يجد من الوهلة الأولى أنها مناقشة عملية للمجهودات الإسلامية في فهم أصول الإسلام لكن ما يلبث القارئ إلا أن يرتطم بنصوص أركونية لا تدع مجالاً للوصول إلى هذا المعنى.

حيث يقول: «إنه من الضروري أن نوسع من مجال التحري والبحث لكي يشمل ليس فقط الفكر الإسلامي الكلاسيكي، وإنما القرآن نفسه أيضاً. إن المهمة تبدو مرعبة لأسباب معروفة جيداً، سوف نرى، مع ذلك، لماذا هي شي لابد منه، إذا ما أردنا أن نعالج بشكل دقيق المكان الذي أتيح للتاريخية أن تحتله في الإسلام» (٢)!!

ليوضح بعد ذلك مسعاه ومبتغاه بقوله: «كل ما أسعى إليه هو محاولة فرض قراءة تاريخية للنص القرآني، قراءة تمتنع منذ الآن فصاعداً عن أية عملية إسقاط أيديولوجية على هذا النص، هذا هو هدفي الأساسي..» (٣)وغيرها من النصوص التي تناولت القرآن الكريم والحديث الشريف ومفاهيم الإسلام والدين والتي هي أبعد ما تكون عن معنى الفكر الإسلامي بمدلول المجهودات والاجتهادات للعصور السالفة (٤).

والحاصل في دلالة كلمة (الفكر الإسلامي) برغم التدافع التأويلي والعلمي تجاهها أن الدلالة الواسعة له هي أنها: تلك المحاولات العقلية والمجهودات العلمية من علماء الإسلام والتي اتكأت على أساس الكتاب والسنة، وشكلت نسيج من التصورات الذهنية للأمة الإسلامية.

(١)المرجع السابق ص٢٩١.

(٢)الفكر الإسلامي قراءة علمية. تأليف: محمد أركون. ترجمة: هاشم صالح. الناشر: مركز الإنماء القومي – بيروت. الطلعة الأولى. ١٩٨٧م. ص١١٣ وما بعدها.

(٣)المرجع السابق ص٢١٣.

(٤)انظر: المرجع السابق في تشذيب قراءات القرآن ص١١١، وفي قياس النسخة القرآنية إلى النسخة التوراتية ص١٣٠. وكذلك ص٢٠٣. وص٩٦ وغيرها من المواضع.

إنه يكاد من الصعب الجزم في تحديد أول من تفوه بهذه الكلمة، لكنه يلحظ أن هذه الكلمة المركبة لم يستخدم بكثرة واضحة الاستعمال، وما انتهت إليه إلا بعد أواسط القرن الرابع عشر الهجري في ظل البحث عن النهوض الحضاري بعد سقوطه وتحت أجواء وسياقات الإجابة على سؤال النهضة المحير!

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، يتبين أن تحرير المفاهيم الفكرية ليس مسألة لغوية أو اصطلاحية مجردة، بل هو أصل من أصول البناء العلمي، ومدخل من مداخل سلامة التصور، وميزان من موازين الحكم على الأفكار والاتجاهات. إذ إن المفاهيم إذا اضطربت دلالاتها، أو توسعت استعمالاتها دون ضابط، نشأ عن ذلك خلل في الفهم، واضطراب في الحكم، واتسع مجال النزاع الذي لا يقوم على حقيقة علمية، وإنما على اختلاف في تصور المعنى وحدوده.

وقد كشف البحث من خلال تتبع الاستعمالات المعاصرة لمفهوم الفكر الإسلامي أن الإشكال في كثير من الأحيان لا يرجع إلى ذات اللفظ من حيث هو لفظ، وإنما إلى السياق الذي يُستعمل فيه، والمعنى الذي يُراد به، واللوازم التي قد تترتب على إطلاقه دون تحرير أو بيان. ومن هنا كانت الحاجة ملحّة إلى العناية بضبط المفهوم، وردّه إلى معناه الصحيح، وتمييزه عما قد يلتبس به من استعمالات توسعية أو تأويلات مغايرة.

كما أظهر البحث أن التراث الإسلامي قد أولى المفاهيم عناية بالغة، فجعل سلامة اللفظ ودقة الدلالة من تمام سلامة الاعتقاد وصحة الفهم، وأن كثيرًا من النزاعات الفكرية والعلمية كان منشؤها خللًا في تحديد المعاني أو في تنزيل الألفاظ على غير مرادها. وهذا يؤكد أن تحرير المفاهيم ليس ترفًا معرفيًا، بل هو ضرورة منهجية تسبق الحكم على الأقوال، وتؤسس لسلامة النظر في القضايا الفكرية والشرعية.

وبناءً على ما تقدم، يمكن إجمال أهم نتائج هذا البحث في أن المفاهيم الفكرية تمثل مفاتيح الفهم، وأن العناية بتحريرها وصيانة دلالاتها من الانزلاق أو التحميل غير المنضبط يعد من أهم واجبات الباحثين في العلوم الشرعية والفكرية، خاصة في ظل اتساع الخطاب المعاصر وتعدد مرجعياته وتداخل مصطلحاته.

التوصيات:

- العناية بتحرير المفاهيم الفكرية قبل الخوض في مناقشة القضايا المرتبطة بها، وجعل ذلك خطوة منهجية لازمة في الدراسات العلمية.

- تعزيز الوعي بأهمية الدلالة الاصطلاحية للمفاهيم في الخطاب العلمي والشرعي، والتحذير من استعمال الألفاظ دون إدراك لمعانيها وحدودها.

- تشجيع الدراسات المتخصصة في تحليل المفاهيم المتداولة في الفضاء الفكري المعاصر، ورصد تحولات دلالاتها وآثارها في تشكيل التصورات والأحكام.

- الإفادة من التراث العلمي لعلماء الإسلام في بناء منهج علمي رصين لضبط المصطلحات والمفاهيم، وربط ذلك بمتطلبات الواقع الفكري المعاصر.

- إدراج مهارات تحرير المفاهيم ضمن مقررات البحث العلمي والدراسات الفكرية، بوصفها أداة أساسية لضبط الفهم وتحقيق سلامة الحكم.

قائمة المصادر والمراجع

١ - آثار ابن باديس، تأليف: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي. (ت: ١٣٥٩هـ). تحقيق: عمار طالبي. الناشر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية. الطبعة الأولى: ١٩٦٨م.

٢ - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تأليف: محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (ت: ١٣٨٥هـ). جمع وتقديم: د. أحمد طالب الإبراهيمي. الناشر: دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.

٣ - تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تأليف: محمد أركون. ترجمة: هاشم صالح. الناشر: المركز الثقافي العربي – مركز الانماء القومي. - بيروت. الطبعة الثانية: ١٩٩٦م.

٤ - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، طبعة: دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى / ١٤٣١هـ.

٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق مكتبة العبيكان – الرياض. الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

٦ - الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، د. طه عبد الرحمن. الناشر: المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب. الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.

٧ - خصائص الفكر الإسلامي. تأليف: د. محمد عبد اللطيف الفرفور. الناشر: دار الإمام الأوزاعي.

٨ - دستور الأخلاق في القرآن، تأليف: محمد بن عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ). الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٩ - شرح ثلاثة الأصول. تأليف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ). تحقيق: علي بن صالح المري – أحمد بن عبد العزيز بن باز. الناشر: دار المسير. الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١٠ - شرح حلية طالب العلم. تأليف: د. بكر عبد الله أبوزيد. شرح: الشيخ محمد بن صالح العثيمين. الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - القصيم. الطبعة الأولى – ١٤٣٤هـ.

١١ - طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي. تحقيق وتقديم: د. محمد عمارة. الناشر: دار الشروق – القاهرة. الطبعة الثانية: ٢٠٠٩م.

١٢ - الفكر الإسلامي في تطوره، تأليف: د. محمد البهي. الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة / دار التضامن للطباعة – القاهرة. الطبعة: الثانية ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

١٣ - الفكر الإسلامي قراءة علمية. تأليف: محمد أركون. ترجمة: هاشم صالح. الناشر: مركز الإنماء القومي – بيروت. الطلعة الأولى. ١٩٨٧م.

١٤ - الفكر الإسلامي وقضايانا السياسية. تأليف: أ.د. أحمد الريسوني. الناشر: دار الكلمة للتوزيع والنشر – القاهرة. الطبعة الأولى. ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

١٥ - قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح (دراسة أصولية تطبيقية) للدكتور: محمد الجيزاني. مجلة الأصول والنوازل العدد الثاني – رجب ١٤٣٠هـ

١٦ - مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (رحمه الله). تأليف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ). أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

١٧ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد. طبعة: مجمع الملك فهد تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية. ١٤٢٥هـ.

١٨ - مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. تأليف: محمد بن صالح العثيمين. (ت: ١٤٢١هـ). جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. الناشر: دار الوطن للنشر والتوزيع – الرياض. الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ.

١٩ - معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ. تأليف: بكر بن عبد الله أبو زيد. (ت: ١٤٢٩هـ). الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض. الطبعة: الثالثة. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٠ - معجم المناهي اللفظية. للدكتور: بكر بن عبد الله أبوزيد. دار العاصمة – الرياض. الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.

٢١ - معركة المفاهيم بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، طبعة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الثانية ٢٠٠٤م.

٢٢ - من منابع الفكر الإسلامي. تأليف: أنور الجندي. الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – الجمهورية العربية المتحدة. الطبعة ١٣٨٦هـ – ١٩٦٧م.

٢٣ - المناهي اللفظية، تأليف: الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين. (ت: ١٤٢١هـ). جمع وإعداد: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى. ١٤١٥هـ.

٢٤ - نقد الفكر الديني. المؤلف: د. صادق جلال العظم. الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت. الطبعة: الثانية.